

# ابن خلدون والنقد الحديث

لعماد محمد عبد الله عثمان

عن كتابه « ابن خلدون : حياته و تراثه الفكري »



ابن خلدون كما تصورهُ ورسمهُ جبران خليل جبران

يرتفع النقد الغربي بتراث ابن خلدون الى أسمى مكانة . وقد عرف التفكير الغربي قبل ابن خلدون طائفة كبيرة من المفكرين المسلمين لم يرتفع كثير منهم الى مكانته ، وعرف قبله كثيراً من المؤرخين المسلمين ، لا لأنهم أجدر بالبحث والتعريف ، ولكن لأنهم ظهرُوا في عصور الاسلام الفتية الزاهرة لو لأنهم تناولوا نواحي عني بها التفكير الغربي <sup>(١)</sup> . ولكن ابن خلدون ظهر في عصر سرى فيه الأتجاه الى صولة الاسلام وميادته ، وانتمحل التفكير الاسلامي ، فلم يكن أجدر المصور بالتعريف والبحث . ولبت تراث ابن خلدون مغموراً في

(١) عرف الغرب مؤرخين مثل المسوري وابن نقد. وابن العربي وابن خلكان وابن عربشاه قبل ابن خلدون بمصور صالحة ، وترجمت بعض مؤلفاتهم الى اللاتينية . ونشر تاريخ ابن العربي وتاريخ ابن عربشاه (تاريخ تيمور) لي انكفرا بعضهما العربي منذ منتصف القرن السابع عشر

الشرق والغرب مدى قرون ، يكاد الشرق مجهول ، ولا يعرف الغرب شيئاً عنه . وفي سنة ١٦٩٧ م ظهرت عنه في موسوعة « دريلو » الشرقية اول ترجمة غربية . وهي ترجمة موجزة قباضة بالخطأ . ومضى بعد ذلك اكثر من قرن قبل ان يعنى التفكير الغربي بشأه ، حتى نشر المستشرق الفرنسي سلفستردى سامي سنة ١٨٠٦ ترجمة ابن خلدون مع ترجمة فرنسية لفتحات من المقدمة في قاموسه Chrestomathie عربية ثم نشر بعد ذلك باعوام ترجمة مقتطفات اخرى من المقدمة . وصاد فشر سنة ١٨١٦ ترجمة اوفى لابن خلدون في قاموس التراجم العام Biographie Universelle مع وصف مسهب لمقدمة ابن خلدون . وفي نفس الوقت نشر المستشرق النمساوي فون هامار رسالة بالالمانية عن « اضمحلال الاسلام بعد التروك الثلاثة الأولى للهجرة » ، تعرض فيها لبعض نظريات ابن خلدون في انحلال الدول ، ووصفه بأنه « مونتسكيو للغرب » . ونشر بعد ذلك ترجمة المانية لبعض مقتطفات من المقدمة ، ثم نشر وصفاً لبعض اجزاء المقدمة في « المجلة الاسبوية <sup>(١)</sup> » . واستمر دي سامي وبعض زملائه المستشرقين على نشر مقتطفات مترجمة من مقدمة ابن خلدون او تاريخه ، والبحث الغربي فيما بين ذلك يزداد اهتماماً بابن خلدون وتراثه ، وإعجاباً بقوة تفكيره وطرائقه ، حتى نشر كارمير مقدمة ابن خلدون كاملة بنصها العربي سنة ١٨٥٨ ، ونشر دي صلان بعد ذلك ببضعة أعوام ترجمة فرنسية كاملة للمقدمة ، وعندئذ ظهر ابن خلدون للتفكير الغربي في روعة ابتكاره ، وظهرت قيمة ذلك التراث الباهر الذي غمره النسيان مدى عصوره

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر يعنى النقد الغربي بابن خلدون ونظرياته الاجتماعية عناية خاصة . كان وقوف الغرب على تراث ابن خلدون اكتشافاً علمياً حقيقياً ، وكان الإعجاب بما في هذا الاكتشاف أن يظهر الغرب في تراث المنكر المسلم ، بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التي لم يطرقها البحث الغربي الا بعد ابن خلدون بعصور طويلة . أجل اكتشاف النقد الغربي لدمهته وإعجابه في تراث ابن خلدون كثيراً مما ردهه مكيا قبلي بعده بقرن ، وما ردهه نيكو ومونتسكيو ، وآدم سميث . واوجست كونت <sup>(٢)</sup> بعده بقرون . وكان المعتقد ان البحث الغربي اول من اهتدى الي فلسفه التاريخ ، ومبادئ الاجتماع ، واصول الاقتصاد السياسي ، فاذا بان خلدون يسبقه بعصور ويعزوا في مقدمته هذه المبادئ ويعرض كثيراً

(١) « المنتطف » — على من ٥٥ ، معرفة المراجع التي اعتمد عليها المؤلف ان يراها في كتابه  
 (٢) ميكاظلي مؤرخ وسياسي ايطالي ( ١٤٦٩ — ١٥٢٧ ) . ويكبر مؤرخ وديلسوف ايطالي ( ١٦٦٨ — ١٧٤٤ ) ومونتسكيو مترجم وديلسوف واجتماعي فرنسي ( ١٦٦٩ — ١٧٥٥ ) وآدم سميث اقتصادي انكليزي ( ١٧٢٣ — ١٧٩٠ ) واوجست كونت ديلسوف فرنسي وهو واضع اصول الفلسفة الوضعية ( ١٧٩٨ — ١٨٥٧ )

من نواحيها ونظريتها بقوة وبراعة. ومن ثمّ كانا زى النقد الغربي ، بعد ان اكتشفه ودرسه ، يرتفع بترانه الى اسمى مكانة ، وينظمه في سلك التلافة ومؤرخي الحضارة وعلماء الاجتماع والاقتصاد السياسي ، بل ويعترف له بفضل سبق في هذه الميادين

- ١ -

كانت الناحية التاريخية الفلسفية في تفكير ابن خلدون اول ما عنى النقد الغربي بدرسه ، ولكن الناحية الاجتماعية ما لبثت ان لنتت انظار طائفة من علماء الاجتماع ، واخذت تتفرق على ما عداها من نواحي تفكيره . ومنذ أواخر القرن التاسع عشر زى نظريات ابن خلدون الاجتماعية تشغل فراغاً كبيراً في النقد المعاصر ، ويتناولها حتى يومنا طائفة من النقدة الاجتماعيين بالدرس والتحليل المقارن

وكان في مقدمة من درس تراث ابن خلدون من الناحية التاريخية الفلسفية المستشرق النمساوي الكبير البارون فون كزيمر ، فكتب عنه بالالمانية رسالته الشهيرة «ابن خلدون وتاريخه لحضارة الدول الاسلامية» ، وقدمها لأكاديمية العلوم بفيينا سنة ١٨٧٩ . ويعتبر فون كزيمر ابن خلدون مؤرخاً للحضارة Kulturhistoriker يؤرخ حضارة الشعوب الاسلامية ، لانه من بين المؤرخين المسلمين اول من خصص فصلاً اضافية للتحدث عن النظم السياسية وانواع الحكم ، والمخطط العامة كالقضاء والشرطة والادارة وتطورها في الدول الاسلامية ، وعن النظم الاقتصادية والتجارة والمكوس والضرائب ، وعن المهن والحرف والصنائع ووجوه الكسب والمعاش ، ثم عن العلوم والفنون والآداب واصنافها واحوالها وتطورها في العالم الاسلامي وهو اعتبار صادق من بعض الوجوه فقط لان ابن خلدون لا يتالج هذه المسائل مستقلة او لذاتها وانما يالجها كصور فقط من هذا العمران الذي هو موضوع بحثه ودرسه . ومراحل الحضارة مقياس لمراحل العمران

.....

ويعتبر دي بوير (الهولندي) ابن خلدون فيلسوفاً ، ويضعه في ثبت الفلاسفة المسلمين الى جانب ابن سينا والغزالي وابن رشد وابن العنيل ، وينوه بتمية المنطق في صوغ نظرياته ويعضه بانه مفكر مؤن ، فهو ينكر ثمرة الكيساء والعرافة بحق ، وكثيراً ما يمارس مبادئ الفللفة العقلية ، مبادئ الاسلام البسيطة سواء عن اعتقاد شخصي او لاعتبار سياسي . بيد ان الدين لم يؤثر في آرائه العقلية بقدر ما أثرت الارسطوطالية الافلاطونية. وقد أثرت في تكوين ذهنيته جمهورية افلاطون وفلسفة فيثاغورس الافلاطونية ، وكذلك المؤلفات التاريخية لاسلافه المشاركة ولاسيما المسعودي ، ايماناً تأثير . وقد حاول ابن خلدون ان يؤسس نظاماً فلسفياً جديداً لم يحمل بندهن ارسطر ، وان يحمل من التاريخ نظاماً فلسفياً ، وهو يقول لنا

ان هذا النظام انما هو الحياة الاجتماعية ، ومادة المجتمع كلها وتقاتته انكسرية . ومهمة التاريخ هي ان يبين كيف يعمل الناس وكيف يعملون اقوالهم ، ولماذا يقاتلون بعضهم بعضاً ، وكيف يجتمعون في جماعات كبيرة في ظل بعض الزعماء ، وكيف يُلهمون اخيراً في ظل حياة الحضرة رغبة العناية بالفنون والعلوم الرفيعة ، وكيف تتقدم الحضارة من البداية الخشنة الى الترف الناعم وتزدهر ، ثم تضعف وتموت . ثم يقول دي بوير ان ابن خلدون هو بلا ريب اول من حاول ان يشرح بفاضة تطور المجتمع وتقدمه لاسباب وعمل معينة ، وان يدرس ظروف الجنس والاقليم ووسائل الانتاج وما اتبها ، واثرها في تكوين ذهن الانسان وطاقته وفي تكوين المجتمع . وهو يرى في سير الحضارة تناسقاً داخلياً منظماً . ويختتم دي بوير حديثه عن ابن خلدون بما يأتي : « لقد سار امل ابن خلدون في ان يخلقه من يتم بحثه في حيل التحقيق ، ولكن في غير الاسلام ، فكما انه كان دون سلف ، فكذلك بقي دون خلف »

- ٢ -

بيد ان النقد العربي كان اكثر اهتماماً بفلسفة ابن خلدون الاجتماعية . ولقد لقي ابن خلدون من هذه الناحية ذروة الاعجاب والتقدير ، وحتى كثير من علماء الاجتماع المعاصرين بتحليل نظرياته الاجتماعية ومقارنتها بنظريات اقطاب المحدثين ومن هؤلاء القادة العلامة الاجتماعي لدفنجل جيلوقتش ، فهو يخصص لابن خلدون في مباحثه الاجتماعية فصلاً كبيراً ، ويدعمه بأنه اجتماعي او من علماء الاجتماع . ويتناول طائفة من آرائه الاجتماعية بالتحليل والمقارنة ، ويبين انه قد سبق في كثير من هذه الآراء اقطاب الاجتماع المحدثين ، فهو مثلاً قد اعتمدى الى نظرية الاجيال الثلاثة الخامة بموضوع الاسر والمخاطبة قبل ان يعرفها نوبوكور لورتس في اواخر القرن التاسع عشر . ويقول جيلوقتش ان ابن خلدون يرتفع الى ذروة البحث الاجتماعي حينما يمرض ، للاحظانه من تفاعل الجماعات الاجتماعية ، وكيف ان هذه الجماعات تقسها انما هي ثمرة الوسط . وآراؤه في هذه المقام عن الاجناس الغالبة في منتهى الخطر . وفي اقواله عن الوسط ومؤثراته ما يدل على انه عرف « قانون التشبه بالوسط » قبل ان يعرف داروين بمخدة ذرون ، وفيه بقوله عن تشبيه الانسان بالحيوان في الخوض للتوانين الاجتماعية العامة ما يدل على انه عرف مبدأ « وحدة المادة » قبل ان يعرف هيكل (١) . ومن المدهش ان ترى كم تنطق الاجراءات التي ينصح ابن خلدون باتخاذها للفاطمين الظافرين لكي يؤمدوا سلطانهم ، مع النظم الجزئية التي اثبتت البحث التاريخي الحديث ان مؤسسي الدول الاوربية في العصور الوسطى قد اتخذوها ، بل ان فضل سبق يرجع بحق الى العلامة الاجتماعي العربي ( ابن خلدون ) فيما يتعلق بهذه التدابير التي

(١) ارنت هيكل علامة بيولوجي وطبيسي الماني (١٨٣٤-١٩١٩)

أسداها مكيا قبلي بعد ذلك بقرن إلى الحكام في كتابه « الامير » . وحتى في هذه الطريقة الجادة لبحث المسائل وفي صفتها الوهمية الخشنة ، كان من المستطاع ان يكون ابن خلدون نموذجاً للإيطالي البارح الذي لم يعرفه إلا ريب . هذا وقد استطاع ابن خلدون ان يقرر منذ خمسة قرون اصل السلطين الروحية والومنية ، كما يقرها اساتذة القانون السياسي والقانون الكنسي واخيراً يقول جيلوقتش : « لقد أردنا ان نذكر على انه قبل اوجت كوت ، بل قبل فيكر الذي اراد الايطاليون ان يجعلوا منه اول اجتماعي اوروبي ، جاء مسلم تقي فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل منزه ، وآتى في هذا الموضوع بأراء عميقة ، وما كتبه هو ما نسيه اليوم : علم الاجتماع »

وفي نفس الوقت الذي أدل فيه جيلوقتش بهذه الآراء تناول تفكير ابن خلدون باحث اجتماعي إيطالي هو فررو فايد وصف جيلوقتش لابن خلدون بأنه « اجتماعي » ووجه بظرافة ابن خلدون وسبقه في هذا الميدان . ويوافقهما في ذلك الكاتب الاجتماعي الروسي ليخين فيعتبر ابن خلدون فيلسوفاً « اجتماعياً »

ودرس مسيو موفيه استاذنا السابق بكلية الحقوق ، ابن خلدون من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية في بحثين قريين ، يتناول في اولهما آراء ابن خلدون الاقتصادية وفي الثاني آرائه الاجتماعية ، ويمتدحه فيلسوفاً واقتصاديًا واجتماعياً معاً . ويصف مقدمته وتفكيره بما يأتي : « انها مزيج عظيم من الترانين الكونية ، ومرسوعة لمعوم العصر ، وتحتوي على اجزاء متفرقة لبحث كامل في علم الاجتماع . وطريقها بالاخص بديمة تدل على ذهن علمي حق . واذا كانت آراء ابن خلدون لا تعبر عن مثل وضعي أعلى ، فهي مع ذلك تقرم على الملاحظة التحليلية للحرادث ، وهي مرآة الواقع . وليست فلسفة سوى شرح وتلليل لتاريخه ، وشروحه تشهد بذهنية وضعية كان فيلسوفنا يسبق بها عصره » ثم يحلل مسيو موفيه نظريات ابن خلدون الاجتماعية ويقسمها الى قسمين هما : الترانين العامة للحياة الاجتماعية ، وقرانين التطور الاجتماعية ، ويصفها بقوله : « واذا فان فلسفة ابن خلدون الاجتماعية يعشاها على ما يظهر استنتاج بالغ التشاؤم . فلنجتمع ليس الأ لحة في مجرى الاشياء الكوني ، وهو يعني كما يقني كل شيء . والحياة كالروي ، وكل تغير بشئ عكسه ، وكل ارتفاع يعقبه سقوط . . . ولكن تشاؤم ابن خلدون تشاؤم مستمر غير مكثرت ، فهو لا يحكم وانما يشاهد . وهو بذلك يدل على ذهنية علمية حقة . وبذا يجب ان يفسح له مكان في تاريخ الاجتماع الوضعي »

وينوه معظم نقدة ابن خلدون بهذا التشاؤم الذي يطبع فلسفته . ويقول لنا فون كريبز ان ابن خلدون يذهب في تشاؤمه الى حدود بعيدة ، ويقارنه في ذلك بأبي العلاء المعري . ويمتقد ان مصدر هذه العائقة هو انحطاط الدول والحضارة الاسلامية في العصر الذي كتب فيه ابن

خلدون . ولكن فررو ورجعها الى ظروف الحياة السياسية العاصفة التي قلبت فيها ابن خلدون وما بثت في نفسه من مرارة وخيبة امل . على ان كثيراً من الناحية الواقعية لفلسفة ابن خلدون يرجع الى هذه العاطفة ، ولم يكن نشأته زعة شخصية كاملة في احلافه ، ولكنه صفة للتكبره فقط . ونتيجة للبحث والدرس . اما ابن خلدون نفسه ، فكان كما تدل حوادث حياته أكثر ميلاً الى النعقة والابتهاج والتفاؤل

ويدرس الكاتب الالماني فون فيسندنك نظريات ابن خلدون في نشوء الدول والمجالاتها ويرى فيه ذمناً وانرا الابتكار ، ومثلاً اعلى في التفكير العربي وآخر نجم سطع في أفق التفكير الاسلامي الحر . ويعتبره مثل فون كريبم مؤرخاً للحضارة Kulturhistoriker ، ويرى فيه بحق إماماً لمدرستي مكيافلي وفيكو ، ويحاول ان يطبق نظرياته في سقوط الدول والاسر على الامبراطورية الالمانية والدول الاوربية فيقول : « وقد يلوح للالماني في الوقت الحاضر ان هذه الآراء الفياضات بالتشاؤم ليست من ابتكار منكر اجنبي ، فان الامبراطورية الالمانية لم تضر طويلاً ثم ذوى غصنها غصناً الى عالم التناء بسرعة خارقة ، فهل يجب ان نبحت لتلك المساعدة عن اسباب غير تلك التي اوردها الكاتب العربي عن سقوط المرابطين والموحدين ؟ ان نظريات ابن خلدون تقدم الى التأمل فرصة صادقة ، يتف مؤرخ الحضارة المسلم الكبير وحيداً في المشرق ، لم يقببه خلف ولم ينسج على منواله نسيج ويطبق ما كان يشعر به او يدعو اليه على اوروبا في القرن التاسع عشر أسح تطبيق وأتمه . وتدوي ميول الفكر والسياسي الافريقي في معترك الحوادث مها كانت وجهتها دوماً يتردد صداه في عالم افكار عصرنا »

- ۳ -

درس الامتاذ استمانو كلوزيو ابن خلدون من ناحية اخرى هي الناحية الاقتصادية . ويرى كلوزيو بادىء يده وان ابن خلدون من حيث الجنس الذي انحدر منه ، والبلد الذي ولد فيه ، والحضارة التي ينتمي اليها ، يمكن ان يوضع في صف عظماء الرجال الذين يتبوأون في التاريخ اسمى مكانة . وقد اكتشف ابن خلدون آفاقاً جديدة في ميدان العلوم الاجتماعية . ولكنه لا يجاري مكيافلي كسورخ ، لانه لم يعرف او لم يرد ان يطبق المنبذى التي عرستها في مقدمته ليشرح اسباب الحوادث التي يقصها في تاريخه . ومع ذلك فقد سبق مكيافلي ومونتسكيو وفيكو : الى وضع اصول علم جديد هو الدرر التنقدي لتاريخ . وتلك حقيقة نوه بها امارى المستشرق والمؤرخ الايطالي الكبير قبل كلوزيو فوصف ابن خلدون بأنه أول كاتب في العالم صالح موضوع « فلسفة التاريخ » ثم يحلل كلوزيو نظرية ابن خلدون في « الجبر الاجتماعي » ويرى انها موجودة في تلك العبارة التي يستعمل بها ابن خلدون حديثه عن اجيال البدو والمضر وهي : « ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف منحهم من العشر »

على ان كلوزيو ينود بالاحص بنظريات ابن خلدون الاقتصادية ، فيقول لنا ان المؤرخ البربري العظيم استطاع في العصور الوسطى ان يكتشف مبادئ العدالة الاجتماعية والاقتصاد السياسي قبل كونسيدران وماركس وباكونين<sup>(١)</sup> ثم يحتل آراء ابن خلدون عن عمل الدولة من الناحية الاقتصادية وآثاره السيئة ، وعن القوى السياسية والطوائف الاجتماعية ، وعن طرق الملك وانواع الملكية ، وعن مهمة العمل الاجتماعية ، وتقسيم العمل الى حر ومأجور ، وكون العمل الحر مصنعاً للرزق ( المعاش ) ثم عن قانون العرض والطلب . ويرى كلوزيو في ذلك كله ان ابن خلدون كان اقتصادياً مبتكراً يعرف مبادئ الاقتصاد السياسي وينطبقها بذكاء وبراعة قبل ان يعرفها للبحث الغربي بمصوّر طريقة ، ويختتم بحثه بما يأتي : « اذا كانت نظريات ابن خلدون عن حياة المجتمع المعقدة تضعه في مقدمة فلاسفة التاريخ ، فان فيه الدور الذي يؤديه العمل والملكية والاجور يعضه في مقدمة علماء الاقتصاد المحدثين

- ٤ -

ومن لحدث البحوث النقدية في دراسة ابن خلدون رسالة للاستاذ نانايل شميت الاستاذ بجامعة كورنيل بأمريكا ، درس فيها ابن خلدون كغورخ وفيلسوف واجتماعي . ويرى الاستاذ شميت ان ابن خلدون كغورخ يمكن ان يوضع في صف مؤرخين عالميين مثل ديودور الصقلي ، وقولواوس الدمشقي او رودجرس بومبيوس ممن كتبوا في القرن الاول الميلادي ، او مؤرخين من كتاب القرن الثامن عشر مثل جانير وويليتر ، وهذا مع كونه يتفوق عليهم سواء في الانتفاع بالمصادر القديمة او في الرواية الاصلية ، ولو ان ابن خلدون لم يختلف لنا سوى تاريخه السياسي ، لكان رأياً يفتي عن مهمة لا تنفذ ، وغزار في المصادر ، وحكم سيدي ، ولكن بالنسبة لبعض العصور مصدرأ قيساً للرجوع ، بل لكان في عدوله عن طريقة الحوليات ما يرفعه بكثير عن مستوى رجال مثل البخاري والمعمودي والطبري وابن الاثير . على ان حق ابن خلدون في الشهرة الخالصة لا يرجع الى تاريخه بل يرجع الى ذلك الأثر المدهش الذي كتبه مقدمته لتاريخه ، فهنا تبدو عبقرية في روعة بهائها ، وهنا ينثر بيدن نديتين ثمرات تأملاته الناضجة عن سير التاريخ البشري وأما من حيث فلسفة التاريخ فيرى الاستاذ شميت ان ابن خلدون هو الذي اكتشف ميدان التاريخ الحقيقي وطبيعته ، وهو بلا ريب صادق حين يقول ان احداً من المفكرين المسلمين قبله لم يطور موضوعه ، واذا كانت معرفتنا بعلموم التقدم اعظم وأخزر ، فإننا مع ذلك نستطيع اليوم ان نقول ان ابن خلدون كان بحق اول كاتب استطاع ان يعرف موضوع التاريخ

(١) كونسيدران اشتراكي فرنسي له عدة مؤلفات في الاشتراكية (١٨٠٨ - ١٨٩٣) . وكارل ماركس اقتصادي واشتراكي ألماني كبير ومؤسس الاشتراكية المتطرفة ، ومؤلف اعظم كتاب في الاشتراكية (رأى المثال) ، (١٨١٨ - ١٨٨٣) . وباكونين اشتراكي واقتصادي روسي ومؤسس مبدأ اللاعسكرية (١٨١٤ - ١٨٧٦)

بهذه الصورة ، وان ينظر الى التاريخ كعلم خاص يبحث في الحقائق التي تقع في دائرته . بل لم يقل احد غير ابن خلدون ان التاريخ علم خاص موضوعه بحث جميع الظواهر الاجتماعية في حياة الانسان . فاذا كان يهدر بنا ان توسع في فهم التاريخ الى هذا الحد ، واذا كان التاريخ علماً ، فان التناسي العظيم الذي ابتكر هذا الرأي ودافع عنه ليس له سلف فيما يظهر . ومن حقه ان يعتبر انه المكتشف . وهنا بلا ريب اروع ابتكاراته واكثرها طرافة ، وان كان ذهنه النافذ قد شق طرقاً جديدة في نواح كثيرة . وقد لاحظ ابن خلدون في دراسة الدول وقيامها وسقوطها ان اسباب هذه التطورات لا ترجع فقط الى البوائت والاطماع ، والى الاغراض والغايات ، والى قوة الارادة ، وقوة الذهن لدى الافراد ، ولا حظ ان تأثير هذه العوامل لا ينحصر فقط على خواص الجماعات التي تنتمي اليها ، ولكنها تخضع ايضاً للظروف الاجتماعية العامة وقد حله ذلك على ان يبحث العوامل التي تؤثر في هذه الظروف الاجتماعية وتكوينها ، وانتهى الى انها ترجع الى خواص قومية وجنسية . ولكنه لاحظ ايضاً ان هذه الخواص نفسها ترجع الى مؤثرات الوسط الطبيعية كالاقليم ، والماء ، والارض ، والموقع ، والغذاء . واذا فن الضروري لكي تفهم التطور السياسي ، ان ندرس كل مظاهر الحياة الاجتماعية ، ولكي تفهم هذه يجب ان نحسب حساباً للعوامل الطبيعية ، ومن ثم كان اتساع نطاق التاريخ ، واتساع مهمة المؤرخ إذ بغداد التاريخ علم المجتمع الانساني ، واذا فهو علم الاجتماع . ثم يقول الاستاذ شحيت ان ابن خلدون رغم طابعه الاسلامي انما هو فيلسوف مثل اوجست كونت ، وتوماس بكنل ، وهيربرت سبنسر . وفلسفته التاويحية ليست كالفلسفة مجيل<sup>(١)</sup> تحليلاً للقضاء والتقدير . واذا كان يذكر خلال بحثه كثيراً من آيات القرآن ، فليس لذكرها علاقة جزئية بتدليله ، ولعله يذكرها فقط ليحمل قارئه على الاعتقاد بانه في بحثه متفق مع نصوص القرآن

وأما عن الناحية الاجتماعية ، فان الاستاذ شحيت يرى مع معظم النقدة ان ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع ، ويرى بالاضم مع جيلرقتش ان الاجتماع وجد قبل اوجست كونت بمسور طويلة ، وان ابن خلدون ذهب في تفكيره الى حدود لم يذهب اليها كونت ، وانه فيما طالع من خواص المادة والاقليم ، والارض ، والغذاء ، قد سبق برتسكيو وبكل وسبنسر وغيرهم وينقل الاستاذ شحيت اليها هذه الكلمة عن العلامة الاسباني التاميرا : « كفى انه في القرن الرابع عشر ، حينما كانت دراسة التاريخ الاوربية في منتهى النقص ومنتهى البعد عن آراء كالتي يعرضها ابن خلدون ويدافع عنها ، قد كتبت كتاب كالفلسفة ، درست فيه وعرضت كل المسائل ، التي عدت فيما بعد ، اهم مهام المؤرخين المحدثين »

(١) توماس بكنل مؤرخ اجتماعي انكليزي ، وله مؤلف شهير في تاريخ الحضارة الانكليزية (١٨٢١ - ١٨٦٢) وسبنسر فيلسوف انكليزي ومؤسس فلسفة التطور (١٨٢٠ - ١٩٠٣) . وهجل فيلسوف ألماني كبير . درس فلسفة النبي الروحانيات واللاهيات (١٧٧٠ - ١٨٣١) .